ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

التشكيل الشعري الوطني في ديوان محمد الشبوكي

National poetic composition in the collection of Echebouki Mohammed

عزالدين ذويب

جامعة العربي التبسي تبسة- تبسة(الجزائر)

Azzeddine.douib@univ-tebessa.dz

تاريخ الإستلام: 03/ 02/ 2023 **تاريخ القبول**: 10/ 02/ 2024 **تاريخ النشر**: 30/ 04/ 2024

ملخص:

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل تجربة شعرية وطنية عبرت عن روح الشاعر محمد الشبوكي التبسي وعصره ووطنه، تتوهّج عاطفة عميقة وولاء خالصا، يعد من رجال جمعية العلماء المسلمين الشرفاء، العاملين بصمت والثائرين والوطنيين الغيورين،الذين اتخذوا الكلمة سلاحا لمقاومة الاستعمار اختزل حياته في نصرة الثالوث المقدس -اللغة –والدين- والوطن-، تعلّق بوطن اسمه الجزائر، وبأمّ مقدسة هي الثورة التحريريةالجزائرية الكبرى.

يكشف هذا البحث عن الجوانب الخفية لشخصية شاعر الوجدان الوطني محمد الشبوكي الذي رافق بشعره من وراء المعتقلات والسجون ملابسات الثورة الجزائرية، كان بحق أنموذجا أمثلا للوطنية.

من نتائج البحث أنّه كشف لنا كيف كانت الوطنية الشبايكية أحد الأعمدة الرخامية التي ارتكز عليها شعره؟فهام بالجزائر وجعلها قرينة نضاله ووطنياته،وعدّ بذلك وجها مثقفا ومشرّفا وملتزما بقضايا وطنه .

الكلمات المفتاحية: محمد الشبوكي، الوطنية، الوطنية الصغرى، الوطنية الكبرى.

***

Abstract:

This research deals with the study and analysis of a national poetic experience that expressed the spirit of the poet Echbouki Mohamed tebessi, his era, and his country, an experience that glows with deep emotion and pure loyalty. He is considered one of the honorable men of the Association of Muslim Scholars, silent workers, revolutionaries, and zealous patriots who used the word as a weapon to resist colonialism. He devoted his life to supporting the holy trinity of language, religion, and homeland. He is attached to a homeland called Algeria and to a holy mother, the great Algerian liberation revolution. This research reveals the hidden aspects of the personality of the poet of national conscience, Echbouki Mohamed , who accompanied with his poetry from behind the detention centers and prisons the circumstances of the Algerian revolution. He was truly an example of patriotism

Keywords: *Echbouki Mohamed , National, minor national, major national*

مقدمة:

يرتكز التشكيل الشعري الوطني ارتكازا كليا على القضايا الوطنية في أوسع مجالاتها وأبعد أبعادها فالدارس لشعر محمد الشبوكي الجزائري ليعجب أيما إعجاب بقصائده بمختلف مضامينها وطرائق تعبيره فالشعر لديه الإيمان المطلق بتجسيد عظمة الوطن وثوراته وبطولات أبنائه والتغني بأمجاده.

الدارس لتجربته الشعرية يقف أمام حقيقة مفادها أنّ الشعر الوطني ضرب فيه محمد الشبوكي بسهم وافر ،لكونه يحتشد بالرؤية الوطنية في التعبير عن جوهر الولاء والعشق الجزائري الخالص والأبدي.

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن أسئلة جوهرية ما مفهوم الوطنية الصغرى والوطنية الكبرى؟ لماذا كان الحب الوطني أحد الأعمدة الرخامية التي ارتكز عليها شعره؟ ولم كانت الجزائر المحور والجوهر ومصدر النظم والإبداع وقرينة نضاله ووطنياته؟

هل كان محمد الشبوكي في مستوى الوطن والوطنية تصويرا وتعبيرا؟ تلك أهمّ الإشكالات التي نسعى إلى فك شفراتها ،كما يهدف هذا البحث إلى الكشف عن الطّبيعة العربيّة الجزائريّة الأصيلة في مواقفها وولائها لوطنها ،فتجربة الشاعر محمد الشبوكي بوصلة تربطه بالوطن وبالشعب وثوراته وقضاياه العادلة وتاريخه المجيد.

الوطنية : اصطلاحا : "(شيء معنوي) لا نراها ولا نلمسها ولا نستحدثها ولكن نحسّها، ولا نستغني عنها أي هي إحساس كل منا. والوطن هو الهوية التي ينطق بها كل فرد، وهو رقعة من الأرض يألفها الإنسان وتنشأ معه و تعيش في قلبه".[1]

فمفهوم الوطن يستند إلى رقعة جغرافية مشتركة، يعيش فوقها أقوام متجانسون، يشتركون في عوامل كثيرة، كاللغة، والدين، والثقافة، والمنشأ، والذكريات والرؤى والمواقف-علما- بأن هذه الروابط قد بدأت تفقد تأثيرها لتحل محلّها وطنية أوسع و أشمل أبرز ملامحها أن "الاتجاه السياسي يكاد يشكّل الإطار العام لمفهوم الوطنية، وانطلاقا من هذا الاتجاه الجديد أصبح التقارب، والتوافق بين دول وشعوب لا يربط بينهما تاريخ واحد، ولا لغة واحدة أوثق و أقوى منه بين شعوب تتكلّم لغة واحدة ولها تاريخ مشترك لكنها تنتهج سياسات مختلفة".[2]

تبقى الوطنية إحساسا نبيلا وفيّاضا مرتبطا بوطن (أرض)، و"الوطنية بهذه الدلالة جاءت ضمن المدونة العربية التي تشير إلى أن أساس الرؤية الوطنية وجداني، يتمثّل في ما يكنّه العربي من حبّ لموطنه وما يحسّ به من ارتباط عميق".[3]

والحقيقة أنّ الشعور بالمواطنة عند الشاعر محمد الشّبوكي لا ينحصر في النّزول والإقامة في مكان محدّد بل يتجاوزه إلى قطعة أوسع وأشمل، تمتد بامتداد الأمة التي تربطه بها روابط عقائدية "فلسطين" مثلا، فوطنيته تتقارب وتتواصل مع القومية تقاربا كبيرا. وعليه فوطنيته موروثة من جينات أبيه وعشيرته، تعزّزها عقيدة دينية متينة، ويشدّ أزره إيمان نقيّ بضرورة الدّفاع عن الوطن والأمة والغيرة عليهما، والجهاد في سبيلهما.

ويمكن تقسيم الوطنيّة عند محمد الشّبوكي إلى وطنيّتين:

أولا : وطنية صغرى: تتعلّق بمسقط رأسه.

ثانيا : وطنية كبرى : تتعلّق بوطنه الجزائر.

ليس من العجب أن يحفل الشعر الجزائري بتجارب شعرية تتغنى بالوطن ومآثره وأمجاده وتضحيات أبنائه وتشيد برجاله وعلمائه وبتاريخه وثوراته وملابساته ونكباته وآماله وطموحاته وتعكس نفثات الحنين اليه والوفاء له والتعلق به.

الشاعر محمد الشبوكي مثله مثل باقي الشعراء الجزائريين أمثال محمد العيد آل خليفة، ومفدي زكريا، وأبو القاسم سعد الله، ومحمد الصالح باوية، وابو القاسم خمار، ومحمد الأخضر السائحي، الذين وقّعوا وثيقة حبّ وولاء وتعلّق بالوطن والعمل على حمايته، والتضحية في سبيله ،لذلك جميل أن يكون للشاعر لحظات حميمية يقف فيها أمام محراب الوطن، فيطبع كلمات وهّاجة لا تذوب على جبين وطنه.

الحقيقة أن الوطنية الكبرى عند محمد الشّبوكي شجرة وارفة الظّلال تتكوّن من عدّة أغصان تجلّت مظاهرها في:

- تمجيد الثّورة التّحريرية الكبرى والتّغنّي بالمعارك الوطنيّة.

- الإشادة بنوفمبر رمز العزّة والكرامة.

- الإشادة بالبطولات والأمجاد والماضي التّليد، وجمال الذّكريات.

- الدّفاع عن اللّغة الوطنيّة والدّين الإسلامي دين الدولة، والدّعوة إلى التّحرّر ومناهضة الاستعمار والنّقمة عليه والتّحدّي و التّصدّي له.

- التغنّي بالمعارك الوطنية الكبرى.

- دعم الاستقلال الوطني وتقديس الحريّة.

-حبّ الوطن والتّعلّق به.

- الاعتراف بدور العلماء المخلصين والأبطال والقادة، وقوافل الشّهداء والرّموز الوطنيّة.

- التفاؤل بانتصار الثورة و التغنّي بالاستقلال.

وغيرهما من القضايا الوطنيّة المبثوثة في الدّيوان.

إننا سنسعى إلى التّركيز على مظهرين :

- حبّ الوطن و التّعلّق به.

- التغنّي بالثّورة التّحريرية الكبرى و ما يشملها من فروع أغصان الوطنيّة السّالفة الذّكر.

الشاعر و حبّ الوطن :

أ-حبّ الموطن الأصغر :

الوطنيّة الصّادقة إحساس قوي نبيل، يتدفّق من الأعماق وشعور جيّاش هدّار يجري في الدماء. فالتعلّق بالموطن الأصغر غريزة إنسانية، لأنّه يمثّل صلة الإنسان بالحياة، و بالوجود وبالتاريخ، والآباء، والأجداد، والنزوع إلى الأهل، والربوع، والولد، والأحباب والذّكريات الخوالي. لذلك نجد الشّاعر محمد الشّبوكي لا يبرح متعلّقا بمسقط رأسه، و طفولته وصباه، متنسّما نسمات حبّها وشذا حنانها، فيصدح في جوانحه الرّضا والطمأنينة، والتّعلّق بها [الخفيف].

أنت يا قريتي حديقة أحـــــلا مي و ينبوع بهجتي و انشراحي

فيك يا قريتي الجميلة سلـــوا ني الوحيد و منزهي و ارتياحي

فيك أنسي و فيك تشعر نفسي بالرضا في سمائها و الصباح

فيك تصبو مشاعري فأناجـي في سكوني سرّ الليالي الملاح

فيك أهوى الحياة تحلو مرائيها فأروي من حسنها أقداحي

يتجلّى على مبانيك عمق الــذ كريات فتنتشي أفــراحي[4]

باشر قصيدته ممجّدا فيها قريته و ذلك بتعداد ما تغدقه عليه من فيض وإنعام، و راحة وبهجة، فهي حديقة لكل الآمال و الأحلام التي رسمها، وهو صغير عبر كل ذرة من ذرّاتها العزيزة المقدّسة فهي المنتزه، والرضا، والصفاء، وحلو الحياة. إنها رمز السلام و عمق الذكريات.

وشمّ أصيل فوحها الزاكي أنفه بأعذب الطّيب و أروعه.

ومن مبدأ الابن البّار لمسقط رأسه الذي رعاه، و أكرمه باحتضانه، والحدب عليه حتى صار يافعا وشابا. وانطلاقا مع ما يجيش في أعماقه من عواطف قوية، وعميقة، وفعّالة تجاه قريته، ذهب معتزّا شاديا بها: فهي القرية التي فكّ فيها حرف الخطاب، وعانق فيها كلمات وحي السماء، واتصّل بروح ولوح الأجداد. وهي التي تنسّمت بعبق الفاتحين "عقبة" و"ابن النعمان"، ولاح في فضائها الدين الحنيف و لواء الجهاد.

وهي قرية تغشاها جبال كانت حصنا حصينا، لكل الشجعان الثائرين الرّافضين ،لكل هذه المحامد يهفو بحبّها الشّديد منشدا:

إيه يا قريتي الصـــــغيرة إنّي في ثراك قرأت لوح جـــــدودي

من هنا مرّ (عقبة) و (ابن النعما ن) لنشر الدّين الحنيف الجديد

و لواء الجهاد رفـــــرف في أفـ ـقك يدعو الجميع للتـــّوحيد

فانجلت ظلمة القـــرون الخوالي و تجلّى فجر الضـــّياء الوليد

و حواليك هالة مـــن جـــبلل كم حمت كل ثائر صـــــنديد

هذه قريـــــتي التي أجتبيـــها و إليها أصبو بحـــــبّ شديد.[5]

إنّه شاعر بطبيعته الوطنية الصادقة، ينظم بدافع سليقة أصيلة فيه، و يأتي شعره فيضا من نفسه، لأنه ينطق بما تمليه عليه العاطفة المتأجّجة في صدره. ومن ثم فأسلوبه منمّق برقيق التّعبير منذ وعى فمه سهولته إلى جانب الرّقّة الواعية، و حلاوة التّلوين، و لطافة الوقع وصدق النية،وسلامة الذّوق، وعمق الإحساس، والنزعة إلى الانجذاب الأخّاذ في الوصف والتشبيه.

إن التّعلّق بالموطن الصّغير عند الشبوكي هو تعلّق بأمجاد الماضي والتّاريخ، والدّين والجهاد والتّعلّق بالقرية كُلٌّ مركّب من عوامل توحي بالأصالة وروح الانتماء.

هكذا فالشاعر نموذج مثالي يحتذى به في تعلّق المرء بتاريخ أرضه، وأمّته، ووشائج وثاقها، وحضارتها، و أيامها.

إن المعادلة الطويلة التي قاساها الشاعر محمد الشبوكي في المعتقلات و المنافي، رسّخت التعلّق بالموطن الأصغر أو الأكبر عقيدة حبّ تجري على لسانه، وتسري في عر وقه، وتحيا في وجدانه رغم مرارة السّجن، والمنفى، والبعاد، والألم، والعذاب.

"إن السّجون والمعتقلات مرتع خصيب وجوّ ملائم لنموّ الأشواق، واعتلاج الجوانح بالحنين... وأنّ حياة السّجون جعلت الشّاعر يعيش غربة مكانية، و نفسية ملازمين له كما جعلته يحسّ بيقظة الأسى، ومن هنا كان دائم الشّوق، والحنين إلى الوطن و الأهل..."[6]

في معتقل بطيوة (سان لو) يستحكم الشّوق بمحمد الشبوكي الذي أذاب قلبه النّوى، فإذا ذكر إخوة آلامه ،تتوالى الزفرات و الآهات فلا يجد الشّاعر إلا أن يفرغ ما في نفسه من كمد و حسرة في مطفأة أشعاره التي يذيبها أنينا، و التياعا، و صبابة، يغالب ببسمة أمل مشرقة أمواج حنينه و مع ذلك لن يفارقه. [الطويل]

إذا ذكر الجلاّس أرض تبسة تراه يوالي زفـــــرة إثر زفـــــرة

و ينشدنا الأشعار صبّ مدله جوانحه الظّمأى حوت كل حرقة

إذا ذكرت أرض النّخيل رأيته يغالب أمواج الحنـــــين ببسمة[7].

فبمجرد ذكر الموطن يتزعزع و يضطرب، وذلك لما تركه وراءه من أهل وخلاّن فالشاعر لم ينس وإنما يفتعل النّسيان. فالموطن في قلبه يصاحبه و يتواجد معه، وإن نأى، لذلك يصطنع البسمة التي يتخفىّ وراءها الوجع، والكمد، والحرقة من لظى الابتعاد.

هذا عن التعلّق بالموطن الأصغر فماذا عن التعلّق بالوطن الأكبر (الجزائر) ؟.

ب-حبّ الوطن الأكبر:

إذا كان حبّ الموطن الأصغر قد أضناه وأبرحه، فإنّ حبّ الجزائر قد ملك عقله، واستباح بذلك شبابه وعمره في سبيلها.

المتتبّع لديوانه الشعري يطالع فيه إحساسات وطنية عميقة، أبدية الحب، وسرمدية التعلّق.

لقد حاول محمد الشبوكي عبر مطفأة فؤاده الشعرية أن يلتقط كل ما يقع عليه بصره وكل ما يستوعب حسّه و إدراكه، فتحوّلت وطنياته إلى تاريخ للجزائر العميقة، وخريطة مفصّلة بطبيعتها ،سهولها وجبالها، أشجارها وأنهارها، روافدها وصحاريها، بكل ما فيها من خيرات وثروات طبيعية. ففي قصيدة "تحية أرض الفدى"... وفي غيرها تطالعنا هذه المعاني والقيم الوطنية.

فحبّ الوطن نما معه منذ صغره، و هام به، و تأصّل في فكره ، فتمجيد الوطن أساس وجوده، فالله شرّفه به ما أعظمه من وطن !

[مجزوء الرجز]

أحببتها من صغـــوي همت بها في كبـــوي

كم لي بها من فرحـــة في ريفها و الحـــضر

و شعبها ما أشجـــعا لمن طغى لمن يخضعا

و ليس يخشى المصرعا لكي يظلّ الأرفـــعا[8]

إلى قوله :

دعني أمجّـــــدوطني روحي له و بـــــدني

ربّي به شـــــــرّفني أكرم به من مـــوطن[9]

و يتحوّل حبّ الوطن إلى عقيدة، فيمجّد باعتزاز وطني أنوف على لسان الشاب الجزائري نشيدا كتبه في معتقل عين وسارة (بولكزال)1961 تفوح منه الوطنية الخالصة و روح الانتماء لأرض تشملها القيم المثلى، و البطولة الخارقة، و الجمال، و البهجة، و المكرمات.

بلادي يا بهجة النّاظـــرين جمالك أغنية المنشـــدين

و تربك في الخصب كنز ثمين و جوك للجسم لطف و لين

فتيهي بلادي على العالمين

أحبّك يا موطن المكرمـــلت ومعقل أسد الفدى و الثبات

سأرعى حقوقك حتى الممات وأشدو بفخر بنـــيك الأباة

فحبك يا موطني لي دين

ويهيم بجبالها الشّامخة الحصينة، و بشبابها الثّائر المناهض ، فمن كجبال الجزائر صمودا وتحدّيا؟ ومن كان كشباب الجزائر مناهضةوثباتا ودفاعا ؟

جبالك أعظم بها من قـــلاع شبابك منها تـولى الدفاع

فأردى العدا يوم هول القراع فهل كجبالك عند الصراع

ومن كشبابك في الثائرين؟[10]

وتظلّ روحه هائمة في سماء الوطن لتلتقط صور الجمال وبنفس الإحساس، والنزعة الوطنية الأصيلة بجبالها الشّامخة المعتزّة بكلّ كبرياء، التي لا تجد بديلا لجمال الوطن وبشواطئه التي يتعشّقها الجمال ذاته، وصحاريها مرتع الغزلان، ونخيلها الشّامخ الذي يناطح الفضاء، فوق هذا الجمال يدعو الله أن يحفظها ويتعهّدها برعايته الإلهية، ويزيدها جمالا فوق جمال. يقول في نشيده : "تحيا الجزائر*" [المتقارب]

و نكبر فيها جمال الجبال شناخيبها تبعث الكبـــــرياء

فمنها تجلّى لواء الجـــهاد ومنها تردّد صوت الفـــــداء

شواطئها مظهر للجـــمال يهيم الهوى فوقها و الهـــواء

وصحراؤها مرتع للمـغزال بها النّخل يشمخ صوب الفضاء

فيا رب صنها و نوّر حماها ويسّر مناه ـــــلو زدها بهاء[11]

إنّه الحبّ الوطني المحلّق في أعالي الإباء و الشّهامة الذي لم يفارق الشاعر محمد الشبوكي.

لا أخال المتلقّي يملّ رغم بساطة الأداء متابعة الشدو ، والحبّ الوطنيين فشعره حافل بالمتعة لأنه عامر بالحياة، يتدفّق فيه السّرد والعشق الوطني اندفاع عمل متصاعد، حيث تتدافع الأحداث والمفاجآت تدافع الأمواج، تزيدها طرافة نبل الغرض، وأهميته في حياة الأوطان وروح الشاعر و براعة وصفه

لمشاعره،فالجزائر أرض امتلكت الجمال والخيرات التي لا تعدّ ولا تحصى والتاريخ يباهي بها صفحاته المشرقة، لكل هذا يهيم الشاعر و يحيا لها، فالدهر كلّه مترنّم، شادي، صادح بحبّه.

يقول : [الطويل]

فيا وطنا شاع الجمال بأرضه و خيراته لا نستطيع لها حصرا

وباهى به التاريخ في صفحاته فخطّ له ما شاء سفرا تلا سفرا

تحية حبّ يا جزائـــرنا التي نهيم بها حبّا و نحيا لها الدهرا[12]

الجزائر درة الأوطان، جمالها قد امتلك لبّه. لم ير لها مثيلا، لذلك لا يتوانى في فدائها بروحه العزيزة دون منّ أو تردّد.

وطني الجزائر كم أحب به جمالا قد سلبني

أنا ما رأيت مثيلـــــه في سائر الأوطـــلن

أفديه بالروح العـــزيـ ـزة دون منّ أو تواني[13]

إنّه اختار درب الفداء لوطنه الحبيب، يفديه بروحه، فيغدو بذلك عامل التّضحية في سبيل الوطن عند الشاعر، و تقديم ضريبة الرّوح، فداء له دون منّ من أجل عزّته ومناعته، من شيم وطنيته ومن أحرى منه بدفع هذه الضريبة ؟.

هذه التّضحية الوثّابة، وهذا الحبّ الكبير، و هذا الإخلاص العظيم جعلوا رمضان حمود من قبل يقول : "الوطنية كل ما ألقاه في سبيل إحياء وطني، وبلوغ مقصدي، لا يثبّط همتي شيء لأنني أتيّقن أن لا خطب أعظم من الموت والموت في سبيل المقدّس أحلى من الشهد"[14].

ومن جميل أيضا ما حيكت قريحته قصيدة "وطني"، التي نظمها غداة خروجه من معتقل (عين وسارة) بتاريخ 13 مارس 1962م، وهو آخر المعتقلات التي حشر فيها مع إخوانه أثناء سنوات الثورة المباركة [الرمل].

وطني يا أملي الأســمى و يا فرحتي الكبرى و يا أرض الجدود

فيك أشتم عبير المجد دوما و أناغي نخوة العـــــزّ الجديد

في رباك الشمّ تزهو ذكرياتي فأناجيها و يحلو لي نشـــــيدي

يا نعيما لست أهـــوى غيره أنا في حضنك ذو عمر سـعيد

كم أباهي بمزاياك الـــــتي فاقت التعـــداد من عهد بعيد

حفظ التاريخ في أطـــوائه لك ما يبهج من ذلك ـــــــرفريد

دم لأبنائك تعتـــزّال ـــدّنا بمزاياك أيا أرض الج ـــــــدود[15]

إنّها النظرة الحالمة للوطن الذي جعله أسمى الأماني توسّلا في الطلب، والفرحة الكبرى التي لا تدانيها بهجة و مسرّة.

لقد تنفّس الصعداء، وأفل بذلك زمن الرّهن، والمعتقل، ولظى العبودية. فلا توجد عقبة تعيقه عن الإنشاد...آن الأوان للطائر أن يشدو حلو النشيد، مباهيا وناشرا أشرعة المجد المحفوظة في التاريخ، عنوانها تضحيات جسام، و دماء أبناء خلّص، تعتزّ الدنيا بها و بكمالاتها.

ففي هذا المقطع يترجم لهفة تذوّق طعم الحرية في أرضه، فإنه الآن بعد الإفراج عنه أخذ إلى حدّ ما يستشعر قيمة أن يكون حرّا في أرضه بشكل ما، وعلى نحو دون غيره. فالشاعر لم ينتش بالحرية المطلقة، وبأريج الاستقلال، إنه فقط يعبّر عن إحساسه بلحظة الحّرية الشّكلية التي لم تكن قد اكتملت حلقاتها ، وفي جميع الصّور هو لقاء سجين بحبيبته الحرية، لقاء الشّاعر بوطنه.

الشبوكي و التغنّي الثوري :

إن أوّل ما يلاحظه المتمرّس للأدب الجزائري الحديث،ويلمسه بوضوح هو اتجاهه إلى الشعب، وتناول قضايا الجماهير العريضة، سواء إبان الاحتلال الفرنسي لبلادنا، أو بعد الاستقلال، وهذا يدلّ على تفاعل الأديب المعاصر تفاعلا موضوعيا مع جميع أحداث مجتمعه

ووطنه، ويحاول أن يعالجها برؤية واقعية.

و" صورة الأدب الجزائري الحديث تتعدّد منابعه وأصوله، وجذوره، ولكنها تعود فتلتقي ضمن تيار أشمل من كل التيارات مجتمعة، هو تيار الثورة الجزائرية.

فهذه الثورة هي البوتقة التي انصهرت خلالها الروح، وتتطهّر في أتونها الوجدان، وتبلور بدمائها الفكر، وأقبل الشعر الجزائري غداة الحرب يحمل في تضاعيفه هذا التاريخ المليء بالصراع"[16]

ويشكّل شعر السّجن نسبة ملحوظة من الشّعر الذي نظم خلال الثورة، و هو يعكس حضور الشعراء الثوري، ومساهمتهم في النضال، مما عرضهم كسائر المناضلين لظلمات السّجن وآلامه واستمروا ينظمون فيه شعر الصّمود، والتأمّل الحزين.

"لقد استقطبت ثورة نوفمبر الكبرى المجيدة معظم التّجمعات السياسية، والتيارات الوطنية وقد أيّدها الشعراء، وتجلّى هذا التأييد في اعتبارهم الكلمة سلاحا في خدمة الثورة، وفي اعترافهم بأسبقيّة السّيف على القلم خلال المعركة".[17]

وحين يشار إلى الأدباء الثوريين في الجزائر قبل كل شيء، يشار إلى محمد العيد آل خليفة على أنّه واحد من روّاد الشعر الوطني والثوري، ومفدي زكريا على أنّه سفير القضية الجزائريةوشاعر الثورة بلا منازع، وغيرهما كثير.

قال مفدي زكريا في قصيدة له عنوانها : "وتعطّلت لغة الكلام"

نطق الرّصاص فما يبـاح كلام وجرى القصاص فما يباح الكلام

السّيف أصدق لهجة من أحرف كتبت فكـــــــانبيانها الإبهام[18]

ويعبّر محمد العيد عن هذه الثورة قائلا :

ركبنا للقضيـة كل صـــــعب نرود من المـــراجع ما نـــرود

وأقســـــمنا بكل يمين صدق لها بسوى المطـــــلب لا نعود[19]

وقد أراد الله لوطننا المفدّى أن ينهض بعد طول ركود، فانبعثت منه قوى جبّارة تعمل في عزم وإصرار عن عقيدة وإيمان بتوحيد صفوف الأمة، وتنسيق جهودها حتى تسترد أمجادها.

والشاعر محمد الشبوكي حلقة في عنق تواصل الأجيال، والنّضال الثّوري يقف علما من الأعلام الثوريين الوطنيين الخلّص، حيث اتخّذ مواقف موضوعية ملتزمة بإيديولوجية تنبع أساسا من إحساسه الذاتي بالقضايا الإنسانية الكبرى كالحرية، والتحرّر، ورفض الظلم والطغيان و مناشدة الحق الإنساني.

كان حريصا على حمل الرسالة الثورية بكل أمانة و حارب بالكلمة التي تصلي العدو نارا. الكلمة التي تصبح قرينة البندقية و القنبلة.

قال كاتب ياسين في بيان رسالة الأديب الثورية : "على الشاعر أن يثير الوعي، وأن يزيد وجود الثورة، وأن يظهر وجه الحياة، وأن يرفض الخوف من الحركة" ثم قال : "على الفن أن يكون قنبلة".....وقال أيضا إنّ محنة الغربة، و ظل الزنزانة يلازمان الأدب كما يلازمان الثورة".[20]

وكان نشيد أناشيده : "جزائرنا" له وقع في نفوس المجاهدين، وكل الثوّار، مثل باقي الأناشيد الوطنية، التي فجّرت طاقات إنسانية ثورية خالدة،وشحنت النفوس، وزادتها إيمانا، و تصميما وتحدّيا، و مقاومة، وعنفوانا.

"لقد كانت الأناشيد الوطنية منذ أن كان الإنسان وطنيا أقوى مؤثّر في النفوس،

وأفضل وسيلة لتنوير الجماهير الشعبية، وشحذ هممها بأسمى معاني الوطنية، وزرع بذور التضحية والفداء في أعماق أفئدتها، وبما أنّ الشّعب الجزائري يعدّ في طليعة الشّعوب التي رضعت أسمى معاني حبّ الوطن منذ نعومة أظافرها، فإنّ التاريخ ليشهد في كل الوقائع الأحداث ومتى تأثير الأناشيد الوطنية والأغاني

الشعبية، ذات البعد التاريخي والوطني على وجدان هذا الشعب ونفسيته، مما يدفع به إلى تسجيل صفحات ملؤها الشجاعة والإقدام، وحبّ التضحية والفداء في سبيل إحقاق الحق ومناعة الوطن وعزّته."[21]

لقد كان لنشيده امتداد كبير في نفوس الجزائريين، حتى في المعتقل الذي اقتيد إليه "عندما دخل معتقل (لودي) قام رفقاء دربه في الكفاح و النضال بأدائه وإنشاده مما أثلج صدره حتى بكى" [22] وهذا يؤكّد على تغلغل النّشيد وأثره كوسيلة من وسائل التحريض والمقاومة،و إن اعتقل محمد الشّبوكي لم يستطع السّجّان أن يلجم البلبل على التّغريد الوطني بل زاد من رفضه و ثوريته، فشارك الثورة من داخل المعتقلات بالكلمة و الالتزام.

بيان شعري ملتزم :[مجزوء الكامل]

رتّل بلحنك شـــــعري يحوي مشاعر صدري

فأنت لا شك تـــــدوي بأنني أنا **ثـــــــوري**

أه ــــــــفوإلى كلّ حرّ على اللئـــــــامة **ثائر**[23]

بهذا البيان الشعري نفهم فلسفة الالتزام الثورية الطافحة بالقوة لكونه عاش في صراع مع الباغين، واكتوى مثل باقي الجزائريين بنار العذاب، والرّهن و الاعتقال والضرب، والإهانة، والتسلّط، والقهر. فوطنه مغتصب وخيراته مستنزفةوأرضه أصبحت رمزا للإبادة، والعدوانية، والعنجهية.

"إنها لمجزرة بشرية تفنّن الفرنسيون فيها بأنواع التعذيب و الإرهاب لإفناء الجزائريين، ولقد استرخص هؤلاء النبلاء أرواحهم في سبيل الحياة الحرة ضنّا بالإباء أن يذّل وبالكرامة أن تهان ، و بالحق أن يضيع...إن التاريخ منذ أن خلق العالم حتى اليوم لا يعرف ثورة دفنت في بطنها من الضحايا عشرات الأجيال جيلا بعد جيل كما دفنت ثورة الجزائر في بطنها من أبناء البلاد.

ولم يعرف شعبا دفع إلى أتون ثورته فلذات أكباده طائعا مختارا كما دفع الجزائريون بفلذات أكبادهم، ولم يحدّثنا التاريخ عن شعب عذّب وأهين واضطهد على مسمع ومرأى من العالم المتمدّن كما عذّب الشعب الجزائري و أهين و اضطهد...."[24]

بهذه الأسباب وغيرها نفهم طبيعته الثائرة المتأججة، ووطنيته العميقة وندرك سرّ ولائه للثورة ومباركتها وتلبية ندائها، حتى وهو في المعتقلات يظّل صوتا يصدح بالثورة.

ففي قصيدة : "لبيك يا ثورة الشعب" التي نظمها سنة 1955م بعد معركة الجرف المشهورة مباشرة والتي حقّق فيها المجاهدون انتصارا كبيرا على قوات المستعمر، وألحقوا به هزيمة منكرة. وفي هذا يقول : [البسيط]

غنّى فأطرب بالآمال شـــــلدينا وأرشد المدلج الحيران حادينـا

وذاع للسرّ نشر في حواضـــرنا وشاع للحقّ صوت في بواديهنا

تحقّق الأمل المنشود و انطلقت كتائب النّصر من أعلى روابيـنا

وآمن الشّعب أنّ المجد تصنعه بالإتّحاد و بالرّشّاش أيـــدينا

الله أكبر لاح الفجر و انبـعثت أنغام ثورتنا الكبرى تناجـــينا

لبّيك يا ثورة الشّعب التي زحفت تطهر الأرض من رجس المناوينا

أنت الدّواء لشعب عزّ مرهمـــه فطالما داؤه أعيا المـــداوينا[25]

فكتائب الحق حققت الأمل المنشود، بالإتحاد، والقوة، يصنع قرار و مجد الشعوب،وما أخذ بالقوة، لا يسترد إلا بالقوة والسلاح.

فالشاعر يكشف عن عوامل قيام الثورة المتمثّلة في فشل وسائل السياسة. وما السياسة في نظره إلا أوهام، أو ترّهات تعيق الشعوب الطامحة الوصول لهدفها النبيل المقدّس باعتبارها تسعى جاهدة لتضليل، وتشتيت القوى الوطنية، فتجعلها متناحرة، وأحزابا متنافرة، متنازعة.

ويضيف إنّ السّياسة إزجاء للوقت فالثّورة قطعا دواء ومرهم ناجع للشعب من كلّ علل ورجس الاستعمار

يقول مصطفى بيطام : "إن الكلمة و الرشاش بالنسبة للثورة شيئان متلازمان لأنهما توافقا في اتخاذ القرار الحاسم بتفجير الثورة وإشعال فتيلها"[26].

لقد أثبت الشاعر محمد الشبوكي التحام الكلمة بالسلاح بعد أن عجزت وحدها عن إزالة أسباب التظلّم، فرضي بالمدفع خطيبا، و بالنار حكما. و في هذا يقول : [الرمل]

لعلع البارود في كل الجـــبال وانبرى كـــــلكمي للقتال

وحماة الوطن الشجعان هبّوا في صمود نحو ساحـات النزال

إننا شعب تنادى للـــــفدا وتصدّى في الصحاري و التلال

عقد العزم على نـــــيل المنى ليس يخشى ما تخبّيه الليـالي

إلى قوله :

إنّ نصر الله وافى أســـرعوا لاغتنام النّصر بالسّمر العوالي

خبّروا الدّنيا جميـــــعا أنّنا أمّة ثارت لتقـــــــــريرالمآلي[27]

لقد لعلع البارود على القمم الشم رمز الهوية، والثبات، والشموخ، والوحدة، والبطولة لمقارعة العدو باللّغة التي يفهمها وحماة الوطن وجنده أقسموا بعزم كسر شوكة كلّ طاغ متعال وأن يدحضوا فلول الأعادي، وليشهد العالم أنّ الأمّة الجزائريّة قد خرجت من قمقمها مغوارة باسلة وثائرة، تريد تقرير المصير والآمال المنشودة.

في معتقل الجرف في أوائل سنة1956م يقول : [مجزوء الخفيف]

نحن في **الج ـــرف** أمّة وحّد الظـــلم بينها

عمّها جور دولـــــــة قرّب الـــلّه حينـــها

ضدّها ثار لـــــــــلّنا كلّـــنا رام بيـــنها

يا لها الله ثـــــــورة ردّد الـــدّهر لحنها[28]

تخليد المعارك و البطولات :

لا شيء يثير في النفس الإنسانية الغضب، والحنق، والحقد، ويدعو إلى الانتقام في قوة كالظلم والتعسّف، والاعتداء... والظلم مراتب وأقسى مراتبه وقعا، وأسوأها عاقبة، وأكثرها فضاعة ظلم يستهدف جماعة أو شعب أو أمة و من ثم كان الاستعمار أشدّ أنواع الظلم، وأعدى أعداء الإنسانية، ولهذا كانت محاربته و كسر شوكته واجبا مقدّسا تدفع إليه عزّة النفس الإنسانية.

الشعب الجزائري شعب أبي عزيز بنفسه، قوي بإيمانه وعقيدته، سجّل في تاريخ الثورات الإنسانية حضورا متميّزا ببطولاته وتضحياته الخارقة، كلما ذكرت حرب التحرير الكبرى إلاّ واقترنت بها أمجاد أبناء هذا الوطن، وتلك المواقف الخالدة، والتفاني الفذّ في التضحية،والبذل و الفداء من أجل منازعة البقاء، ورفع الظلم و تحقيق الحرية فكم شربت أرضنا-الولود بالأبطال- من دماء أبنائها لتسقى شجرة الحرية والكرامة وشعارهم "النصر أو الشهادة"، وبهذه الروح القتالية والتفاني في سبيل العزة الوطنية والشموخ تغذّى أبطالنا وتسلّحوا فكانوا ملحمة فريدة يعجز اللسان و القلم عن الإحاطة بوصفه، فأي ملحمة من ملاحم هذا الجيش البطل نؤثر بالتسجيل؟

إنّنا نؤثر الاكتفاء بمعركة واحدة من المعارك الخالدة التي كان لها حضور متميّز في الديوان الشعري "معركة **الجرف**"، و"التي قد سبقتها معركتان في منطقة تبسة هما : - معركة سيدي أحمد بتاريخ 2 جانفي 1955م. - معركة أم الكماكم23 جويلية1955م".[29]

معركة الجرف : [1955]

تنسب هذه المعركة إلى جبل الجرف. وجبل الجرف : "يتشكّل من سلاسل جبلية ذات نتوءات صخرية تنحدر من الجبل الأبيض، وتكثر فيه الدهاليز المظلمة ولا تغطّيه الأشجار. يقع في الجنوب الغربي من مدينة تبسة على بعد 100 كلم من هذه الأخيرة، وتحدّه من الشمال مدينة الشريعة وجبل قساس، ومن الجنوب الشرقي نقرين، ومن الشرق كل من : جبل العنق، وجبل غيفوف، وهو بهذا التكوين الطبيعي يعدّ طوقا صخريا أجرد رهيبا لا يمكن تسلّقه، كما أنه يعدّ من الناحية الدفاعية مجموعة من الدروع الصخرية التي لا تنال منها القنابل".[30]

في هذا الجبل الشامخ الصامد صمود أبطاله دارت رحى المعركة طيلة سبعة أيام.

يقول الرائد عبد السلام بوشارب : "تعد معركة الجرف من أكبر ملاحم الثورة التحريرية المباركة التي زعزعت أركان الجيش الاستعماري المغرور بعدده و عدّته، وأربكت صفوفه، وجعلته يتراجع القهقرة، يتخطّى أشلائه المبعثرة مذعورا، مدحورا، خائر القوى...هي مرجع تاريخي ينطق بمآثر الرّجال، ويروي عطاءات شعب، قلما عرف التاريخ الإنساني لها مثيلا...

وهي التي لخّصها الشّهيد البطل العربي بن مهيدي لمحاكميه قبل إعدامه، فقال عنها : "قد أعطيناكم في الجرف درسا لا ينسى".[31]

إن فرنسا في هذه المعركة أرادت أن تستعرض قوتها العسكرية على فئة قليلة لا تملك إلا إيمانها وحبّها لوطنها و أرضها. و الشعب الجزائري كلّه يدرك فضاعة الاستعمار و شراسته، لكنه لا يبالي إن مات شامخا رابضا في مواقع الجهاد، رافعا راية الوطن المقدسة."كان الشعب الجزائري غداة إعلان الثورة على المحتل مدركا لقوة العدوّ الفرنسي، وواعيا بالمخاطر التي تنتظره، ولكنه كان أيضا مؤمنا بأن حريته التي انتزعت منه بالقوة لا تستردّ إلاّ بالبنادق، والدماء الزكية، والسواعد التي ترفع ألوية الجهاد."[32]

معركة الجرف رمز للجهاد وصورة عن بطولة هذا الجيش الذي أنهك قوى المستعمر وجعله يبدّد قواه عبثا، وقد ترك هذا النصر الرائع أثرا عميقا في نفس الشاعر محمد الشبوكي، فذهب متغنّيا شاديا لحن البطولات "لبيك يا ثورة الشعب" [البسيط]

يا وقعة الجرف يا تاريخ ملحمة كانت لثورتنا نصـــــرا و تمكينا

إنا نحيّي رجالا فيك قد صمدوا وحقّقوا النصر أبطالا ميامينا[33]

إنّها معركة تسجّل قوة المجاهدين وبطشهم بأعدائهم الذين أصيبوا بنكبة، فمنهم من لق ي حتفه، ومنهم من ذهب فارّا مذعورا من هول ما رأى من صمود وتحدّ، وباء بالخسران المبين ،وفي غمرة نشوته بالانتصار يصوّر شدّة الفتك بالأعداء المتمثّلة في تحويل دباباتهم وطائراتهم إلى بقايا أطلال مهشّمة. إنها آثار هول المعركة التاريخية والبلاء الأوفى للرجال الأشاوس الذين صمدوا وحقّقوا المبتغى والنصر المبين، و ها هي

فرنسا مذعورة تائهة، حائرة، فعنصر المفاجئة أربكها، وهي لا تدري أنّ من تصفهم "بالبيكو" ثوّار أحرار لا شيء يثنيهم عن تحقيق أمانيهم، وحلمهم المنشود، وفي نفس القصيدة يقول :

قالت فرنسا و جيش الشعب يرعبها في كل ناحيـــة يغزو الميادين :

ما كنت أحسب أنّ البيـــكو يجرحنا و ينبري برصاص الموت يرمينا

متى و أين استقام الرأي عنـــدهم حتى نري لهم جيـــشا يعنّينا..

قلنا لها : نحن شـــــعب في جزائرنا ثرنا لنيل العلا لا شيء يثنينا[34]

ويمضي الشّاعر في توعّده لفرنسا مشدّدا من لهجة التنديد والاستنكار ساخرا من أفعالها فأيام سطوتها قد اضمحلت وزالت بفعل التوحّد ولا عجب. فالشعب الذي صمّم على افتكاك حريته لم يساوره شك في النصر و الله ينصر الثائر الضّعيف، ولو أمام الطغاة الجبابرة.

كفاك جهلا فرنـــــسا إنّنا عرب لسنا نبـــيت على ضيم المغيرينا

فالشّعب إن وحّد الآراء مح ـتسبا لا بدّ من نصـــره رغم المعادينا

و الله ينصر كلّ الثائـــرين على ظلم الأعادي و إن كانوا فراعينا[35]

إنها أبيات تعكس إصرار الثورة في الجزائر على مواصلة درب النضال الدامي حتى تحقيق آمال الشعب الجزائري ومطالبه. إنّ الحديث عن "أم المعارك" هو حديث عن تلك الدماء الزّاكيات للذين وهبوا أرواحهم واسترخصوا حياتهم للوطن عبر امتداد ربوعه في سخاء وكرم وحديثه أيضا عن المواقف البطولية لرجال تسابقوا إلى المعركة فسجّلوا صفحات ينحني التاريخ أمامها إكبارا وإجلالا.

لله تلك الدماء الزّاكيات سقت عدوان و الجرف و الزرقا و نقرينا[36]

جادت بها نخبة باعوا نفـــوسهم لله و الوطن المحبـــوب راضينا

لقد صمّموا لا يولون الـــورا أبدا حتى تحـــــرّر في الدنيـا أراضينا

دوّت بنادقهم في كل ناحـــــــيةـ فارتاع من هول لقـياهم أعادينا

رصاصهم جندل الأعداء فانتشرت فلولهم في الفـــيافي غير واعينا

نحن الألى عرف التاريخ صـــولتنا منذ القديم فهـــل دنّا لـغازينا؟

فالأطلس الصّامد المرهوب جانبه بالنصر في حربنا أمـــسى يهنينا[37]

فالأطلس "الأوراس" الموهوب الشامخ الصلب أضحى يهنّي أبناءه على صمودهم وتحدّيهم ويبادلهم النصر بنصر. لقد توحّد المجاهد الجزائري مع الطبيعة و الطبيعة قد أعطته من روحها كبرياء، وشموخا، وعزّة .

ما نستخلصه من هذه المعركة، أنها واقعة تاريخية لها ما وراءها من دلائل وأبعاد فهي قبل كل شيء دليل حي قاطع على أن العبرة ليست في الكمّ، وإنّما في الكيف، وليست في السلاح و إنّما فيمن يحمل السلاح،وفي ثباته، وعقيدته، وغيرته، ووطنيته في مبدئه، وهدفه في دمه وحميّته. هـ ـذا الذي إذا قاتل غلب وانتصر، وغيّر مجرى التاريخ، وحوّل تيّار الأحداث مهما كانت قوة العدو. هـ كذا يبرهن جيش التحرير في هذه المعركة الجبّارة على بطولته وشجاعته، وأسلوبه الحربي الرّائع في الاستماتة، إنه سيّد الموقف مهما بلغت خطورته وشدّته وقوته لأن شعاره دائما النصر أو الموت.

تظلّ معركة جبل الجرف أغنية يردّدها الشاعر محمد الشبوكي في كل حديث، و في كل مناسبة لأنّها حدث ثوري بارز من الأحداث التاريخية، تخشع القلوب إجلالا لذكراها، وتمثّل أياما خالدة باقية ما بقي عمر الحياة تتحدّى النسيان، وتقاوم الفناء باعتباره قد خلّدها في قلب كل ثائر وثائرة، وجزائري وجزائرية في نشيده "جزائرنا":[38]

ففي قصيدة من ملحمة الثورة [الكامل]

واهتف بأبطال الجهاد منوّها بالشعب قد أبلى البلاء الأروعا

سبع و نصف خاضهن مصمّما حتى أنال الغاصبين المصرعا[39]

يستمر التوقيع الملحمي البطولي لأبناء الجزائر الذين ضربوا أمثلة ناصعة في الجهاد، والتطلّع إلى الحياة، وسبيل حرية الشعوب مقياسه الوحدة و التضحية.

والشعب إن رام الحياة موحّدا نصرت كتائبه و نال المطمعا

والمجـد صـعب لا تذّل متونه إلا لمن ضـــحّى لها و تطلّعا[40]

وكتائب الحقّ وجنده لهم كمالات نفسية من فداء، وتضحية، وثبات، وإقدام وشجاعة كلها عصفت وأذلّت فرنسا وجندها، وصنعت ملاحم الثورة ومعاركها الدّامية.

يا عصبة البارود يا من كنـــتم لكتائب التحرير جيشا أبرعا

علّمتم الدنيا المكارم و الـــفدا و بنيـــتم للمجد صرحا أمنعا

في **الجرف**قد عرفوا مهارة جيشنا و تجرّعوا جام الهزيمة مترعا

وهضاب **إرقوشاه** ـــــدلت أننا شعب على قمم النجـاح تربّع

وبقلعة **الأوراس** أحبط سـعيهم لما تخاذل جمعهـــم و تصدّعا

وبجرجرا و شمال سرتا أيقـــنوا أن الجزائر أمة لن تخـــضعا

وبسوق أهراس و قالمـــة الإباء بات العدوّ مرزّا و مفـــجعا

وروابي ايدوغ ببـــــونة أيأست جمع الأعادي فانثنى و تزعزعا

وجبال بابور تصـــــدّت كلّها فأرته أن سطيف لن تتصدّعا

والونشريس أمضهم فتخاذلوا و تقهقر الجش العـدوّ مروّعا

وجبال وه ـــــوان الأبيّة ردّدت أرجاؤها صوت الرصاص مرجعا

كتائب والصحراء أحكمـــت الربا ط وسدّدت للخصم سهما موجعا[41]

فالثورة الجزائرية عظيمة وعظمتها تكمن في شموليتها وتوحّد شعبها. وما تغنّي الشاعر بهذه المعارك وتقديسها إلاّ لإظهار البطولة الوطنية على حقيقتها، ولاستمالة الرأي العام لتحقيق الحق المشروع – الحرية-."....وإذا كانت المعارك المسلّحة التي يخوضها المجاهدون...في المدن والقرى، وفي الجبال والسهول...قد أضفى على هذه الثورة طابع التحدّي و الشمولية، و في الوقت ذاته أثبت لفرنسا وللرأي العام الدولي أنّه سيظلّ صامدا ومصرّا على الكفاح حتى تلبّى حقوقه المشروعة."[42]

في قصيدة "إنا نحيّيك" تظلّ الاحتفالات بالذكريات والأعياد الوطنية مفتاحا لدفتر أيامه النضالية، ومجالا للتعبير عن فيض الأمجاد "معركة الجرف". هي قلعة نصر، وسجلّ دهر صحائفه مطرّزة بالفداء، والنّبل، والسموّ، والهمّة. وفي هذا يقول [البسيط]

ذكراك فيض من الأمجاد و الشّـــيم يا حصن تاه على الأعلام و القمم

يا (جرف) يا قلعة النّصر الذي صدحت أصداؤه في مناحي سائر الأمـــم

وسجّل الدّهر في تاريخه صـــــحفا مليئة بالفدى و النّبل و الشمم[43]

لذا لا يتوانى بتحيّة إجلال لمن ذادوا عن حماهم ، ولقلعة الأحرار صانعة الفرحة و البهجة في جزائر الاستقلال.

إنا نحيّيك و الأفـــــــلاح عارمة و ننحني لكهوف فيك معتصم[44]

وتتجلّى القيمة الدينية في تقديس الجهاد بالربط بين مجاهد جيش التحرير، ومجاهد غزوة بدر الكبرى، فأبطال الجرف قاموا يضارعون صحابة بدر إيمانا، وبأسا، وشجاعة، يأبون الضيم.

قد جاهدت فيك أبطال لنا صمدوا هنا كأسد الشرى ذودا عـن الحرم

وبرهنوا للدنا جمعاء أنّه ـــــــم أبناء شعب عريق المج ـــد ذي همم

يأبى الضيوم ويأبى أن يبيـــت على عسف الغزاة ويفدّي العزّ بالنسم[45]

وتجلّت المعركة على يد محمد الشبوكي فارتفعت عاليا من واقع الصراع من أجل الكسب، إلى أفق النضال من أجل الاحتساب لله، و من حضيض الشرك و وحوله، إلى قمّة التوحيد النبيلة.

ما أكثر مايغريه أن ينتقل بنا الشاعر إلى متحفه الملحمي الخارق ليصوّر فيه هزيمة الأعداء، وكيف فقدت كتائبه الرشد، وباءت بالخسران واليأس ؟ فهول المعركة أخرس كبرياءهم، وتعجرفهم، فبدّد ريحهم، ومزّق طائراتهم.

جيش التحرّر لا ينساك يا جبلا قد باء جيش الأعادي فيك بالرّمم

ولّت كتائبه السّكرى بنـخوتها كلمى تجرّ ذيول اليأس و الغمم[46]

ومعركة الجرف مفتاح للتّحرّر منها لاحت تباشير النصر، إنها مؤزّرة برعاية ربّانية تجلّت معالمها في أن أحبط الله "جيشا" و نصر "جندا".

ريح التّحرّر هبّت في الجزائر و النّصـ ـر بها لاح حقا غير محـــتشم

تاريخ معركة الجرف العظيـــمة لا يخطّه غير الثّائر الفـــــهم

آيات ربّي تجلّت هاه ـــــنلومحت أنوارها سحبا للظّـــلم و الظّلم

وآمن الشعب أن الثائـــــرين لهم يد من الله تنجيهم من الحمم[47]

ومعركة الجرف جدّدت ببطولات شجعانها عهد "معتصم" ببشائر النّصر التي أيقظت كلّ الهمم. وما أحوجنا نحن اليوم لجرف جديدة بل عمّوريات تتفتّح في وجدان التّاريخ، وتبتسم في ضميره مشرقة على مدى الدّهور درسا بطوليا لأجيالنا الحاضرة و اللاّحقة.

إنّ البطولات الخارقات هنا بالجرف قد جدّدت تاريخ معتـصم

فيا لها وقعة دقّت بشائرها سمع الورى و استثارت كل ذي همم[48]

لقد سجّل الشاعر محمد الشبوكي بصدق و روعة بطولات الشعب الجزائري في شعره من خلال معركة الجرف لإعجابه بها، ولأنّه يتعشّق الحرية، ويقدّس الجهاد دفاعا عن حرمة الوطن وتحريرا له من ظلم الطغاة، وهي أبعد الغايات التي ينزع إليها ذوو الهمم والنفوس العظيمة ويبقى تغنّي الشعراء بمعاركنا الوطنية والاعتزاز، والافتخار، والإعجاب بها وسام شرف ووطنية خالصة.

هذه صورة موجزة مصغّرة من أروع صور البطولة والفداء، وما تسجيل الشاعر للمعارك الوطنية إلاّ عربون إخلاص، و وطنية، و وفاء.

التغنّي بنوفمبر العظيم :

الحديث عن الثورة الجزائرية مقترن أساسا بليلة الفاتح نوفمبر 1954م، ومن الوطنية أن يكون لها حضور في دفتر شاعر الجرف. هذه الليلة العظيمة التي انفجر لهيبها في سائر أرجاء الوطن الجزائري، وكانت بمثابة زلزال ثوري هزّ كيان التواجد الاستعماري، ودكّ حصونه.

نوفمبر يمثّل انعطافا جديدا في مسار التاريخ الجزائري، إذ أخرج الجزائر من المرحلة السياسية إلى المرحلة الثورية، وبات في نظر الشعراء رمزا مقدّسا، "وأصبح اسم نوفمبر مرادفا لاسم الجزائر فكان بالتالي الملهم الذي أوحى لشعرائنا بأغلب شعرهم الثوري مما جعل تعلّقهم الشّديد به يدفع القائلين إلى القول بأن شعر الثورة شعر مناسبات".[49]

والواقع أن نوفمبر ليس مناسبة تؤرّخ باليوم والسّنة، إنه معنى أعظم من هذا وأجلّ، إنّه يحوي كل المعاني والقيم السّامية، التي تمخّضت عن تلك اللّحظة التّاريخية التي انطلقت فيها الرّصاصة الأولى لتعلن ميلاد الإنسان الجزائري الجديد، بل إنّها عند شاعر كمفدي زكريا لا تقلّ عظمة و جلالا عن ليلة القدر التي نزل فيها القرآن فيصلا بين الحقّ و الباطل.

تأذّن ربّك ليلـــــــــة قـدر وألـق الستار على ألـف شهر

وقال له الشعب : أمرك ربّي! وقال له الـوبّ : أمرك أمري !![50]

نوفمبر عند محمد الشبوكي هو تلك اللحظة الحاسمة التي غيّرت مجرى التاريخ في الجزائر من دنيا المذلّة والهوان إلى حياة العزّة والكرامة، فهو رمز المجد والتحرّر، والثورة على الطغيان والكفاح المؤزّر. شهر آمن فيه الشعب بلغة القوة والسلاح، عودته كل سنة إحياء للأمجاد والتضحيات، تتجلّى فيه سرّ الإرادة الإلهية، والقيادة الرشيدة لجبهة التحرير،ومحبّته وفاء لعهود الكفلح فعربونه غالي، وتضحيات أبنائه جسام سنامها يقظة جماهير، ومليون نصف المليون شهيدا.

أي ذكرى على المدى تتكرّر مثل ذكراك في الحمى يا نوفمبر ؟

أنت شهر من الشهور و لكن أنت رمز مجد لشــعب تحــرّر

فيك ثرنا على العدى و رسمنا خطط النصــر بالكفاح المؤزّر[51]

إنّ سرّ تقديس الشاعر لنوفمبر يكمن في هذه المعاني الثورية التي تصيب الإنسان بالانبهار كلما ذكر عربون الحرية مليون ونصف مليون شهيد، وإلى صور البطولة التي تتبادر إلى الذهن كلما عنّ له ذكر على لسان.

إنّه شهر اهتدى فيه الشعب إلى جادة الطريق، واختار الجهاد المقدّس، وهو شهر الشمولية الثورية، عمادها جبالنا وقيادتها سيادة جيش التحرير، روحها إيمان قوي راسخ

نوفمبر شهر الرشاد فيه انبرى للجهاد

في كل أنحاء البلاد جبهة للنهي العماد

وجيشنا قد ساد في الزحف لا يخشى الطراد

إيمانه أقوى عتاد صال به سبعا شداد[52]

نلمس نماذج وطنية في شعر محمد الشبوكي في جوانب كثيرة من شعره الثوري، وهذا دليل على صدق عاطفته الوطنية، وقوة إيمانه بحق الوطن في حياة كريمة.

بالنسبة له أن نوفمبر ولد من رحم المأساة الوطنية ولولاه ما عرف الزمان تعنّت الاستعمار ومبالغته في التنكيل و القمع والوحشية، والإبادة الجماعية ،وهو شهر أفصح عن حقيقة فرنسا العدوانية، عن شعلة انطلاق للحياة، لذلك كان اليمين الثوري لدحض الأعادي البغاة.

و في نوفمبر أدّينا اليمين على دحر الأعادي لنمحو كلّ ما زعموا

وأنجز الله وعدا في جزائرنا فثار في أرضنا البطحاء والأكم [53]

توحّد الشعب وانساقت كتائبه نحو الكفاح وهبّت في الدجى النوم

"شهر ماي يوم مشؤوم من جهة، و ميمون من جهة أخرى، لما عاناه الشعب من عذاب وآلام، وموت، والميمون لأنّه لولاه لما قام الشعب بالثورة المباركة، التي تمخّضت عن انتصار الشعب على العدو، ودحره بصفة نهائية إلى ما وراء البحر"[54].

فمحمد الشبوكي لا ينظر إلى الأحداث من منظارها المأساوي، فتلك ضريبة يدفعها كل شعب يتطلّع إلى الحرية، إنّما من أفقها الإيجابي كالانتفاضة الشعبية، وتوحّد القوى السياسية و صمودها تحت لواء جبهة واحدة، وجيش صامد، وثورة مباركة مظفّرة.

يبقى نوفمبر مفتاح خلاص ونصر، وارتداد الأعادي منهزمين، وفرحة كبرى لا تدانيها فرحة، لأن شمس الحرية قد أشرقت، ورفرف العلم الوطني، ليعلن عن ميلاد عهد جديد ، وانتهاء عهد الظلم، و الاستعمار، و بداية عهد الحرية، و **الاستقلال.**

التفاؤل بانتصار الثورة و التغنّي بالاستقلال :

لا شكّ أن التفاؤل بانتصار الثّورة، والتّغنّي بالاستقلال لم يأتيا مصادفة، بل هما في الواقع نتيجة لتضحيات، ونضال طويل، وصمود في وجه العدو. وتبقى ثورة الجزائر نموذجا للشعوب المكافحة من أجل الحرية وتقرير المصير.

قد عبّر بصدق عن هاتين العاطفتين في ديوانه -التفاؤل والتغني بالاستقلال- تعبيرا مطلقا يدلّ على تفاؤله بلنتصار الثورة، وهو قابع في سجون الاحتلال.

بعث الشاعر برسالة وهو في معتقل الجرف سنة 1956م إلى صديقه الشيخ (الطاهر حراث سعدي)، وضمّنها هذه الأبيات، عنونها بـ "نشيد الظفر" [المتقارب]

نجّي الفؤاد صديـــــق العمر ويا (طاهر القلب) يا خـير بر

فكي ـــــف الرفاق و آمالهم وما جدّ في جوّه ـــم من خبر

فإني و إن كن ـــــت في عزلتي بـ (جرف) المسيـلة رهن القدر

أعيش الأماني مع رفـــــقتي وأنشد فيهم **نش ـــيد الظفر**[55]

أي أماني يعيشها سجين سياسي في معتقلات العدو الفرنسي ؟ إلا أماني التخلّص من أغلال القيود والتحرّر، والانتصار، والشدو على أوتار الحرية.

"والحق أن تفاؤل الشعراء بانتصار الثورة الجزائرية المسلمة لم يصدر من فراغ ، وإنما هو نتيجة لصلابة المقاومة، وتصميم الشعب المجاهد على تحقيق الاستقلال الذي ترجمه عظيم التضحيات التي يبذلها الشعب يوميا عن طواعية".[56]

وفي نشيد أناشيده "جزائرنا" في مقطعه السابع يبعث الأمل والثقة في قلوب إخوانه المجاهدين مثلما علّل في رسالته إلى صديقه الوفي (الطاهر حراث سعدي) أنه دوما يترنّم بـ "نشيد الظفر"، ويبشّر بالنجاح الذي ستقطف ثماره لا محالة.

ثقوا يا رفاق بأن النجاح سنقطف أثماره ياسمين[57]

وفي قصيدة "خبّروا الدنيا" التي نظمها في أواخر سنة 1955م بعد أن ألهب قلوب الثائرين حماسا ومقاومة، وثباتا، وصمودا، وثورة.

ها هو يكشف عن إيمانه وتفاؤله بالنصر. يقول : [الرمل]

أعلنوها ثـــــورة عارمة تقهر الأع ـــــداء في كل مجال

إن نصر الله وافى أسرعوا لاغتنام النصر بالسمر العوالي[58]

كما يتحوّل تفاؤل الشاعر بالنصر إلى نبوءة وذلك في قصيدة "تبسة الصامدة"

يقول مخاطبا حكومة فرنسا :

فاستعدّي إنّ الرّحيل قريب ومصير البلاد حقّا تقرّر[59]

والتفاؤل بالنصر، أو الاستقلال عقيدة لا شكّ فيها، وتعليله في ذلك، ما قدّمه الجزائريون من دماء زكية. وفي هذا يقول :

و قلت معتقدا لم يبق شكّ إذن فالاستقلال ضمنّا حقّه بدم[60]

خاتمة:

هذه أهم هواجسه وأحاسيسه الوطنية، الأصيلة، المنبثقة من صميم نفسه حبّا، و تعلّقا، و وفاء، و جهادا، و صمودا، غنّى فيها تراتيله الوطنية، طوال حياته... و لنعم الوطني أنت يا شبل العرين، و يا شاعر الجرف.

كشف لنا البحث جملة من النتائج هي كالآتي:

*الوطنية لدى محمد الشبوكي سبائك شعرية مجّد فيها الأبطال والقادة والثورة والثوار والشهداء وكل رموز النضال الوطني.

*كشف البحث عن شخصية وطنية ونضالها السياسي في الحركة الوطنية وانتماءها الى جمعية العلماء المسلمين وعذاباتها مع السجون والمعتقلات ، لدى كثير من الدارسين حتى يعطوه حقّه من الدراسة والبحث لما يمتلك من قوة شعرية.

*من جملة نتائج البحث أنّه كشف كيف كان الحب الوطني أو الوطنية الشبايكية أحد الأعمدة الرخامية التي ارتكز عليها شعره، فهام بالجزائر هيامه بالشعر، فتجلّت قصائده حافلة بمعاني سامية من لنضال السياسي القاسي والمرير الذي عاشه مع الأحرار مقاوما الاستعمار الرابض على صدر وطنه مشاركا جهد طاقته في أحداث وطنه وملابساته ، فهو بذلك وجه مشرق للمثقف الجزائري الملتزم بقضايا وطنه وشعبه.

*الشعر الوطني شعر الوجدان الجماعي عاش الشاعر محمد الشبوكي للجزائر لا لنفسه فكان بذلك صادق التعبير عن آلام وطنه وأوجاعه أمام الطاغية الفرنسي المستبدّ، مصوّرا البطولات والتضحيات في سبيل الحرية والكرامة الجزائرية.

*أبرزت هذه الدراسة عن دور النخبة المثقفة وتفاعلها تفاعلا اجتماعيا وسياسيا ووطنيا فكانت رمزا للوعي الإنساني.

* صدق المشاعر الوطنية والعقيدة الراسخة للشاعر ، ويقينه، واعتداده بانتصار الجزائر كانوا مركزا لتحريك قريحته فتفجرت ينابيع الشعر كلها وطنية خالصة.

*محمد لشبوكي بحقّ يعدّ شاعر الوطنية إذ رافق بشعره الوطني والثوري الجزائر وقضاياها العادلة ملتزما ومناضلا من أجل الانعتاق الوطني والكرامة والسيادة الوطنية.

*الجزائر مقدّسة راياتها وسامقة لدى الشاعر، فتعلقه بالجزائر دليل على وطنيته .

*مفهوم الوطنية لدى محمد الشبوكي أن يلتزم الميدع بإعادة كتابة التاريخ المشهود للجزائريين بالبطولة والأمجاد والمآثر العظيمة والتضحيات الجسام.

* الشعر الجزائري الحديث المرتبط بتواجد الاستعمار الفرنسي بمختلف مضامينه وطرائق تعبيره إنما هو شعر نضال ووطنية ، بل وكشف للآخر المستعمر وحقيقته العدوانية الغاشمة.

*محمد الشبوكي وإن كان قد قضى حياته السياسية قبل الاستقلال بين المعتقلات والسجون فإنّه ظلّ صوتا صادحا ومنافحا عن الجزائر وقضيتها العادلة ، ومؤمنا إيمانا مطلقا بحتمية الجلاء ونهاية الظلم والطغيان ، هذا الإيمان الراسخ جعله يذوب في الجزائر مسخرا شعره معتقدا أنّ الكلمة موقف وطني ورصاصة في صدر العدو.

*النتيجة الأخيرة ماعساها تكون والوطنية في الديوان تتزاحم لتحتلّ كلّ منها صدر القصائد فيكون لها شرف البدء في حديث جديد قد لا ينتهي.

---

(1) علي جابر المنصوري. النقد الأدبي الحديث، ط، دار عمار، عمان (الأردن)2000، ص 137.

(2) بن الشيخ التلي. دراسات في الأدب الشعبي، ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1979، ص 69.

(3) علي جابر المنصوري. النقد الأدبي الحديث، ص137، مصدر سابق.

(4) محمد الشبوكي. ديوان الشيخ الشبوكي. ص 157.

(*) هو سهل (مشتل) فسيح الأطراف خصيب التربة.

(5) محمد الشبوكي. ديوان الشيخ الشبوكي. ص 157.

(6) محمد زغينة. شعر السجون و المعتقلات في الجزائر 1954-1962، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة باتنة،1990، ص120.

(7) محمد الشبوكي. ديوان الشيخ الشبوكي. ص 182.

(8) محمد الشبوكي. ديوان الشيخ الشبوكي. ص 40.

(9) المصدر نفسه. ص41.

(10) المصدر نفسه. ص62.

(*)أعدّ هذا النشيد لكي يلحّنه و يغنّيه المطرب العربي الكبير (وديع الصافي) و لكن الظروف لم تسمح بذلك.

(11) محمد الشبوكي. ديوان الشيخ الشبوكي، ص 72.

(12) المصدر نفسه. ص 96.

) محمد الشبوكي. ديوان الشيخ الشبوكي، ص 158. 13(
شعر السجون و المعتقلات في الجزائر 1954-1962، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة باتنة، 1990 ص 59..) محمد زغينة14(
) محمد الشبوكي. ديوان الشيخ الشبوكي. ص 39. 15(
) شكري غالي. أدب المقاومة، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت،1979، ص 144. 16(
) نور سلمان. الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير، ط، دار العلم للملايين، بيروت، 1981، ص 387. 17(
) نور سلمان. الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير، ط، دار العلم للملايين، بيروت، 1981، ص 387. 18(
) محمد آل خليفة. ديوان محمد العيد آل خليفة، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1992، ص 304. 19(
) نور سلمان. الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير، ط، دار العلم للملايين، بيروت، 1981، ص 252. 20(
) مصطفى بيطام. الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، 1954-1962، دراسة موضوعية فنية، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 121. 21(
) حوار مع حفظ الله عبد الله، في بيته بتاريخ :11 أوت 2006م. 22(
) محمد الشبوكي. ديوان الشيخ الشبوكي. ص 140. 23(
) حسن مزدور. الثورة الجزائرية في الشعر المصري المعاصر، ط، مكتبة الآداب، القاهرة،2005، ص 3. 24(
) محمد الشبوكي. ديوان الشيخ الشبوكي. ص 13. 25(
) مصطفى بيطام. الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، 1954-1962، دراسة موضوعية فنية، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 109. 26(
) محمد. الشبوكي ديوان الشيخ الشبوكي. ص 17. 27(
) محمد الشبوكي. ديوان الشيخ الشبوكي. ص 4 28(
تبسة معالم و مآثر. ، نشر المتحف الوطني للمجاهد، 1988، ص 62..) عبد السلام بوشارب29(
) محمد زروال. اللمامشة في الثورة، دراسة، ط، دار هومة،2003، ص 161. 30(
تبسة معالم و مآثر. ، نشر المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر1988، ص 52..) عبد السلام بوشارب31(
) حسن مزدور. الثورة الجزائرية في الشعر المصري المعاصر، ط، مكتبة الآداب، القاهرة،2005، ص 11. 32(
)ا محمد لشبوكي. ديوان الشيخ الشبوكي. ص 13. 33(
) المصدر نفسه. ص 14. 34(
) محمد الشبوكي. ديوان الشيخ الشبوكي. ص 14 35(
(36) أماكن وقعت فيها معارك عنيفة في جبال تبسة.

) محمد الشبوكي. ديوان الشيخ الشبوكي. ص 14. 37(
) سلو جبل الجرف عن جيشنا يخبركم عن قوى جأشنا الديوان : ص60 38(
) محمد الشبوكي. ديوان الشيخ الشبوكي. ص 18. 39(
) المصدر نفسه . ص14. 40(
) محمد الشبوكي. ديوان الشيخ الشبوكي. ص 18-19. 41(
) مصطفى بيطام. الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، 1954-1962، دراسة موضوعية فنية، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 67. 42(
) محمد الشبوكي. ديوان الشيخ الشبوكي. ص 133. 43(
) المصدر نفسه. ص 133. 44(
) المصدر نفسه. ص 133 45(
) محمد الشبوكي. ديوان الشيخ الشبوكي. ص 133. 46(
) المصدر نفسه. ص 134. 47(
) المصدر نفسه. ص 134. 48(
) محمد ناصر. الالتزام في شعر ثورة نوفمبر، مجلة الثقافة، عدد61، السنة العاشرة، 1980، ص 26. 49(
) مولود قاسم. نشيد الأناشيد أو إلياذة الجزائر، مجلة الأصالة، عدد9-10، السنة الثانية 1972، ص 83. 50(
) محمد الشبوكي. ديوان الشيخ الشبوكي. ص 27. 51(
) المصدر نفسه. ص 40 52(
) محمد الشبوكي. ديوان الشيخ الشبوكي. ص 93. 53(
) المصدر نفسه. ص 93. 54(

(55) المصدر نفسه. ص 94.

(56) محمد الطقار. مع شعراء المدرسة الحرة بالجزائر، ط 1، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 2005، ص 135.

(57) محمد الشبوكي. ديوان الشيخ الشبوكي. ص 130.

(58) محمد الشبوكي. ديوان الشيخ الشبوكي. ص 61.

(59) المصدر نفسه. ص 17.

(60) المصدر نفسه. ص 134.